# الاستكبار والعلو وأثره في الانحراف عن الهداية في القرآن الكريم

# Arrogance and Haughtiness and Their Impact on Deviation from Guidance in the Holy Qur'an

م.د. آمنة صالح ارحيم
جامعة تكريت / كلية العلوم الإسلامية /
قسم التفسير وعلوم القرآن
Amna.s.irhem@tu.edu.iq

**الملخص**

يتناول هذا البحث مفهوم الاستكبار والعلو في القرآن الكريم وأثرهما في الانحراف عن الهداية، من خلال دراسة تفسيرية موضوعية لآيات القرآن. ويبين البحث المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذين المفهومين، ويوضح أن الاستكبار يتمثل في تعاظم الإنسان ورفضه للحق. كما يعرض البحث نماذج قرآنية للاستكبار، مثل: استكبار إبليس عن السجود لآدم، واستكبار بعض أهل الكتاب عن الإيمان بالنبي محمد ﷺ رغم معرفتهم بصدقه. ويبين البحث أن الاستكبار يؤدي إلى حرمان الإنسان من التوفيق الإلهي ويغلق قلبه عن الهداية. كما يوضح أثر العلو والاستكبار في فساد القيم وانحطاط المجتمعات وانتشار الظلم والاستبداد. ويخلص البحث إلى أن التواضع والامتثال لأوامر الله يمثلان الطريق الصحيح للهداية وصلاح الفرد والمجتمع.

**كلمات مفتاحية** : (الاستكبار والعلو ، الانحراف عن الهداية ، اثر الاستكبار في المجتمعات ، التواضع في القرآن، الهداية والضلال).

**Abstract**

This research examines the concepts of **Arrogance (*Istikbar*)** and **Haughtiness (*'Uluw*)** in the Holy Qur'an and their impact on deviating from divine guidance, utilizing an objective thematic interpretation (*Tafsir Mawdu'i*) of Qur'anic verses. The study explores the linguistic and terminological meanings of these two concepts, illustrating that arrogance manifests as human self-grandeur and the rejection of truth.

The research presents Qur'anic models of arrogance, such as Iblis's refusal to prostrate to Adam and the arrogance of certain People of the Book who refused to believe in the Prophet Muhammad ﷺ despite knowing his truthfulness. The study demonstrates that arrogance leads to the deprivation of divine success (*Tawfiq*) and seals the heart against guidance. Furthermore, it clarifies the impact of haughtiness and arrogance on the corruption of values, the decline of societies, and the spread of injustice and tyranny. The research concludes that

humility and compliance with God's commands represent the true path to guidance and the well-being of both the individual and society.
**Keywords:** Arrogance and Haughtiness, Deviation from Guidance, Impact of Arrogance on Societies, Humility in the Qur'an, Guidance and Misguidance.

**المقدمة**

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً للناس، وجعل فيه مناراتٍ تُبصِّر القلوب، وتُقوِّم السلوك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من أخطر الآفات التي ابتُلي بها الإنسان عبر التاريخ آفةُ الاستكبار والعلو، لما تحمله من معاندةٍ للحق، واستعلاءٍ على أوامر الله، وتمردٍ على مقتضيات العبودية. وقد اعتنى القرآن الكريم ببيان هذه الظاهرة عنايةً بالغة، فكشف جذورها النفسية، وصوَّر تجلياتها السلوكية، وبيَّن آثارها العقدية والاجتماعية، وضرب لها أمثلةً واقعية من تاريخ الأمم السابقة.

فالاستكبار – كما صوّره القرآن – لم يكن مجرد خُلُقٍ مذموم، بل كان سببًا مباشرًا في الانحراف عن الهداية، ومانعًا من قبول الحق، وحاجزًا يحول دون التوفيق الإلهي. وقد تجلَّت هذه الحقيقة في قصة إبليس الذي أبى واستكبر فكان من الكافرين، وفي نموذج فرعون الذي علا في الأرض فأفسد وأضلَّ قومه، فاستحقَّ الهلاك. ومن خلال هذه النماذج وغيرها تتضح سنّة قرآنية مطردة مفادها أن العلو في الأرض بغير الحق يفضي إلى العمى عن دلائل الهدى، ويجرّ صاحبه إلى مسارات الضلال المتراكمة.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الموسوم بـ: "الاستكبار والعلو وأثره في الانحراف عن الهداية في القرآن الكريم"؛ إذ يسعى إلى دراسة هذا المفهوم دراسةً موضوعية، من خلال استقراء الآيات المتعلقة به، وبيان دلالاتها التفسيرية، والكشف عن آثاره الفردية والجماعية، وربط ذلك بالسنن الإلهية في الهداية والضلال. كما يهدف البحث إلى إظهار البعد التربوي والإصلاحي لهذه القضية، والتنبيه إلى خطورتها في واقع الأفراد والمجتمعات.

## المبحث الأول

## مفهوم مفردات العنوان المحددة لنطاقات البحث

- **أولاً : الاستكبار والعلو لغةً**

➢ الاستكبار : الكِبر –بكسر الكاف وسكون الباء– والتكبر والاستكبار تتقارب: وهو العظمة والإعجاب بالنفس وأعظمه الامتناع عن قبول الحق معاندة وبطراً (١) .

والاستكبار على وجهين: أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يكون كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب، فهو محمود، والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، فهذا هو المذموم، و عليه ورد القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢)(٣) .

➢ **العلو** : مادة العين واللام ، والحرف المعتل ياءً كان ، أو واواً ، أو ألفاً ، تدل على السمو والارتفاع لا يشذ عنه شيء. ومن ذلك العلاء والعلو. ويقولون: تعالى النهار، أي: ارتفع (٤).

والعلو يطلق على عدة معان : علو الذات ومنه قول امرؤ القيس :

**مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً *** كجلمودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيلُ من عَلِ**

---

(١) مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٦٥ ، و تهذي اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ١٢١/١ ، و لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار النشر: دار المعارف ، البلد: القاهرة ٥ / ٣٨٠٨ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٣٤ .

(٣) تاج العروس تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية ، ٩/١٤ .

(٤) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ١١٢/٤ .

ويقال : علا فلان الجبل : إذا رقيه ، ويطلق على : علو القهر ويدل على العظمة والتجبر ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ (١)، ويطلق على علو القدر، والعلو في العموم يطلق على الارتفاع، وهو ضد السفل (٢) .

- **ثانياً: الاستكبار والعلو اصطلاحاً:** الاستكبار : الكِبرُ هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير (٣)، وقيل : " أن يتعظم على غيره أنفة منه واحتقارا له" (٤) ، قال الراغب الاصفهاني : " أعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة " (٥) ، وقيل : " الاستكبار هو الموجب للعصيان لأن المستكبر يرى لنفسه شفوفا ومزية فيمنعه ذلك من الطاعة " (٦) .

➢ **العلو اصطلاحاً:** قال الطبري : " العلو في الأرض : التجبر فيها على أهلها بغير حق " [٧]، وقيل : العلو من علا ، أي: استكبر وتجبر وتعظم وبغى، والمراد به قوة الملك [٨]،

---

(١) سورة البقرة : من الآية ٨٣ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، ٣٠٩٠/٤ ، تهذيب اللغة ، ١١٧/٣ .

(٣) إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، ٣٥٣/٣ .

(٤) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي ، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) ، المحقق: إياد خالد الطباع ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص ١٤٠ .

(٥) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة ، مكان النشر: لبنان ، ص٤٢١ .

(٦) البحر المحيط في التفسير ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ ، ٢٦٤/٥ .

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٦٣٧/١٩ .

(٨) ينظر : التفسير الكبير ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت ، ٥٧٨/٢ .

وقيل : العلو ضد الارتفاع ، ويكون مادياً ومعنوياً ، ويستعمل في المحمود والمذموم ، وفي المحمود أكثر [١]

## المبحث الثاني

## صور الاستكبار والعلو في القرآن الكريم

- **أولاً : استكبار ابليس عن السجود:**

يُعد استكبار ابليس عن السجود لأمر الله تعالى من أولى معاصيه الكبرى ، وهو بداية التمرد على الحق والانحراف عن الطاعة وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في عدة مواضع أهمها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢]

يرى الإمام الطبري (رحمه الله) ان امتناع ابليس عن السجود كان عن عنادٍ واستعلاء على أمر الله لا عن جهل بالآمِر ولا بالمنزلة التي رفع الله بها آدم (عليه السلام) إبليس، فقال: " واستكبر"، يعني بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله في السجود لآدم " [٣] وهذا، وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس، فإنه تقريع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق. وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم – اليهود الذين كانوا بين ظهراني رسول الله (ﷺ )، وأحبارهم الذين كانوا برسول الله (ﷺ) وصفته عارفين، وبأنه لله رسول عالمين. ثم استكبروا – مع علمهم بذلك – عن الإقرار بنبوته، والإذعان لطاعته، بغياً منهم له وحسداً. فقرعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدا له وبغيا، نظير فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله (ﷺ) ونبوته، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدا وبغيا.

---

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص: ٢٤٦ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٤ .
(٣) جامع البيان ، ١/٥١٠-٥١١ .

وفسر الإمام قوله تعالى : (وكان من الكافرين ) أي: صار بكبره من الجاحدين لأمر الله ، إذ عد ترك السجود مع العلم بالأمر كفراً بالربوبية والطاعة [١].

وقيل : ان الاستكبار هنا كان استكباراً على المخلوق الذي هو آدم (عليه السلام ) ولكنه في حقيقته استكباراً على الخالق الآمِر بالسجود ، فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم، فكان ترك السجود لآدم تسفيها لأمر الله وحكمته [٢] .

وذكر ابن كثير في تفسيره ان ابليس استكبر عن السجود حسداً وبغياً وكِبراً ، فطُرد من رحمة الله ، وأُهبط من المنزلة العالية بسبب الكِبر والاغترار بنفسه [٣]

ومن هذه التفسيرات يمكن القول إن استكبار ابليس لم يكن موقفاً عارضاً ، بل مظهراً لعقيدة فاسدة تقوم على الأنانية والتعالي والقياس العقلي المنحرف ، وقد جعل الله هذه الحادثة مثالاً دائماً للتحذير من الكبر الذي يحجب صاحبه عن الهداية والإمتثال لأوامر الله.

- **ثانياً : استكبار أهل الكتاب عن اتباع النبي محمد (ﷺ)**

يعد استكبار أهل الكتاب عن الايمان بالنبي محمد (ﷺ ) من أبرز مظاهر الكبر الذي عاقهم عن الهداية ، رغم علمهم بصدق رسالته وصدقه كما ورد في كتبهم ، فجمعوا بين العلم بالحق وترك اتباعه عناداً وحسداً واستعلاءً عن الحق وأهله .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ ﴾ [٤]

ذكر المفسرون أن سبب استكبار بني اسرائيل عن الإيمان بالنبي محمد (ﷺ ) هو الحسد والاستعلاء ، إذ رأوا أن الرسالة انتقلت من بني اسرائيل الى العرب ، فأنكروا ذلك كبراً .

فسر الإمام الطبري هذه الآية الذين "آتيناهم الكتاب"، أي : التوراة والإنجيل ، يعرفون أنما هو إله واحد ، لا جماعة الآلهة، وأن محمدا نبي مبعوث "كما يعرفون أبناءهم".

---

(١) ينظر : جامع البيان ، ٥١١/١

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ ، ٢٩٦/١ .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ)، المحقق: أسعد محمّد الطيّب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: ٢، تاريخ النشر: ١٤١٩ هـ، ، ١٣٥/١ .

(٤) سورة الانعام : الآية ٢٠ .

ويعنى بقوله: "خسروا أنفسهم"، أهلكوها وألقوها في نار جهنم، بإنكارهم محمدا أنه لله رسول مرسل، وهم بحقيقة ذلك عارفون "فهم لا يؤمنون"، يقول: فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون [1].

إن الذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن وهم اليهود والنصارى يعرفون أن محمدا (صلّى الله عليه وسلّم ) نبي، وأنه خاتم الرّسل، كما يعرفون أبناءهم، وسبب إنكارهم ناشىء من انهم خسروا (أي غبنوا) أنفسهم، حين لم يؤمنوا برسالة محمد (ﷺ )، ولا بالقرآن، لعنادهم وحسدهم، لا لجهلهم به [2].

من خلال ما تقدم يتبين ان استكبار أهل الكتاب عن الايمان بالنبي(ﷺ ) لم يكن جهلاً بل عناداً واستعلاءً على الحق ، فكانوا يعلمون صدقه ويكتمون خبره حسداً وكبراً ، فاستحقوا الخسران المذكور في الآية .

## المبحث الثالث

## أثر الاستكبار والعلو في الانحراف عن الهداية

- **أولاً : حرمان التوفيق الإلهي:**

يُعد حرمان التوفيق الإلهي من الآثار المترتبة على الاستكبار والعلو ، إذ ان التوفيق في المنظور القرآني هو عناية الله بالعبد ، وتسديده للحق ، وتهيئته الأسباب التي تعينه على سلوك سبيل الرشد، فإذا تلبس القلب بآفة الكِبر وانغمس في روح العلو والاستعلاء كان ذلك سبباً في انصرافه عن موارد الهداية ، وحرمانه رضا الله .

وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة في مواضع متعددة ، منها قوله تعالى : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [3] ففي هذه الآية أخبر الله أنه سيصرف عن آياته، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته في

---

(1) ينظر : جامع البيان ، ٢٩٤/١١ .

(2) ينظر : التفسير الوسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، /٥٣٦/١ .

(3) سورة الأعراف : من الآية ١٤٦ .

توحيده وعدله، وغير ذلك من فرائضه. والسموات والأرض، وكل موجود من خلقه، فمن آياته، والقرآن أيضا من آياته، وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادكار بها مصروفون، لأنهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به، اتعظوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم [١] .

وذكر ابن كثير أن هذا الصرف هو ابعاد لهم عن فهم القرآن والانتفاع به ، جزاءً على استكبارهم عن اتباع الحق [٢] .

فالتكلف في التعالي على الحق يولد حالة من الانغلاق القلبي ، تجعل الشخص غير قابل للهداية ولو ظهرت له البراهين ؛ لأن الاستكبار يحجب نور التوفيق ، ويضعف قابلية النفس للانقياد ، وهذا ما يؤكده قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[٣] .

ومن مظاهر حرمان التوفيق أن يُحال بين العبد وبين إدراك الرشد كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [٤] وقيل : سَبِيلَ الرُّشْدِ عبارة عن سبيل الهدى والدين الحق والصواب في العلم والعمل وسَبِيلَ الغَيِّ ما يكون مضادا لذلك، ثم بين تعالى ان هذا الصرف انما كان لأمرين : أحدهما : كونهم مكذبين بآيات الله. والثاني : كونهم غافلين عنها ، والمراد انهم واظبوا على الاعراض عنها حتى صاروا بمنزلة الغافل عنها [٥] .

فالتلازم بين الاستكبار وحرمان التوفيق تلازم سببي يؤكد أن الكبر ليس مجرد خُلق مذموم ، بل هو حاجز معرفي وروحي يحول بين الإنسان وبين نور الهداية ، ويوقعه في مسار الانحراف التدريجي حتى يطبع على قلبه .

- **ثانياً : ضياع القيم وانحطاط المجتمعات**

يعد الاستكبار والعلو من أخطر العوامل التي تؤدي الى اختلال المنظومة القيمية في المجتمعات ، إذ ان الكبر لا يقف عند حدود السلوك الفردي ، بل يتحول إلى ظاهرة

---

[١] ينظر : جامع البيان ، ١١٣/١٣ .
[٢] ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ٤٧٥/٣ .
[٣] سورة النحل : من الآية ٢٣ .
[٤] سورة الأعراف : من الآية ١٤٦ .
[٥] ينظر : التفسير الكبير ، ٣٦٦/١٥ .

اجتماعية تنتج عنها آثار خطيرة في البناء الأخلاقي والحضاري للأمم ، فالقرآن الكريم يربط بين الاستعلاء عن الحق وبين فساد المجتمعات وانهيارها في سياق يؤكد أن الانحراف العقدي والأخلاقي مقدمة حتمية للانحطاط الحضاري .

يقرر القرآن الكريم أن الاستكبار يؤدي إلى قلب الموازين ، بحيث تُستبدل القيم الالهية بقيم الهوى والسلطة قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1] ،وهذا يدل على على انقلاب المعايير ، إذ يرى المستكبر نفسه معياراً للحق فيضيع مفهوم الاصلاح الحقيقي ، فإن الفساد في هذه الآية هو الكفر والعمل بالمعصية لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض وهو أعظم الفساد ؛ لأن اصلاح الارض والسماء بالطاعة لا بالمعصية [2] .

القرآن الكريم يظهر نماذج تاريخية تجسد أثر الاستكبار في انهيار المجتمعات ، ومن ابرزها فرعون الد قال عنه تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴿٤﴾ ﴾[3].

أي : تجبر وتكبر وطغى [4] فالعلو لم يكن مجرد شعور نفسي ، بل كان نظاماً سياسياً قائماً على الاستضعاف والتمييز الطبقي .

وكذلك قوم عاد الذين قالوا : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[5] ذكر الإمام الرازي الرازي في هذه الآية أنه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الإجمال بين خاصية كل واحدة من هاتين الطائفتين فقال: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وهذا الاستكبار فيه وجهان الأول: إظهار النخوة والكبر، وعدم الالتفات إلى الغير والثاني: الاستعلاء على الغير واستخدامهم، ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو أنهم قالوا من أشد منا قوة وكانوا مخصوصين بكبر الأجسام وشدة القوة، ثم إنه تعالى ذكر ما يدل على أنه لا يجوز لهم أن

---

[1] سورة البقرة : الآية ١١ .
[2] ينظر : جامع البيان ، ١/ ٢٩٠-٢٩١ .
[3] سورة القصص : من الآية ٤ .
[4] ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ٢٢٠/٦ .
[5] سورة فصلت : الآية ١٥ .

يغتروا بشدة قوتهم، فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ يعني أنهم وإن كانوا أقوى من غيرهم، فالله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، فإن كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل، فهذه المعاملة توجب عليهم كونهم منقادين لله تعالى، خاضعين لأوامره ونواهيه [١].

يتبين مما سبق أثر الاستكبار في البنية الأخلاقية والاجتماعية :

١-انتشار الظلم والاستبداد ؛ لأن المستكبر يرى نفسه فوق المساءلة ، فيضيع العدل الذي هو أساس العمران .

٢-تفكك الروابط الاجتماعية : إذ يحل التنافس على السلطة محل التعاون على البر والتقوى .

٣-ضياع قيمة التواضع والاعتراف بالخطأ : مما يعطل آلية الإصلاح الذاتي في المجتمع.

٤-تبدل مفهوم القوة : فتُقاس بالقهر لا بالقيم ، وبالهيمنة لا بالعدل .

**الخاتمة**

يتضح من خلال استقراء النصوص القرآنية وأقوال المفسرين:

- أن الاستكبار والعلو ليسا مجرد انحرافٍ أخلاقي عارض، بل هما أصلٌ من أصول الانحراف عن الهداية، ومنبعٌ لكثيرٍ من صور الضلال العقدي والسلوكي. فالقرآن يربط بين الكبر وطمس البصيرة، وبين العلو وحرمان التوفيق، حتى يصل الأمر إلى الطبع على القلب والانصراف عن آيات الله.
- وقد ظهر أن الاستكبار يُفضي إلى ردِّ الحق، وتعطيل العقل عن التدبر، وتبدُّل المعايير القيمية، مما يؤدي إلى فساد الفرد وانحطاط المجتمع، كما دلَّت عليه قصص الأمم المكذِّبة في القرآن. كما تبيَّن أن التواضع للحق، والانقياد لأوامر الله، والاعتراف بالعبودية، هي المفاتيح الحقيقية للهداية والثبات.

وختامًا، فإن معالجة ظاهرة الاستكبار تبدأ بإصلاح القلب، وتعزيز خلق التواضع وترسيخ مبدأ العبودية الخالصة لله تعالى ، حتى يظل الانسان في دائرة التوفيق بعيداً عن مسالك

[١] ينظر : التفسير الكبير ،٢٧/٥٥٢ .

العلو والضلال، وان حفظ القيم واستقامة العمران مرهونان بخضوع الانسان للحق وتواضعه له؛ لأن التواضع يفتح أبواب التوفيق ، ويصون المجتمعات من الإنحدار، أما الاستكبار فإنه يفضي إلى فقدان البصيرة، وطمس معالم الإصلاح، حتى تتجسد في الأمة مظاهر الإنحطاط التي أخبر عنها القرآن الكريم ، فإن التواضع وعدم الاستكبار ليس قضية أخلاقية فحسب، بل ضرورة حضارية لصانة المجتمعات من الإنحراف .

**المصادر والمراجع**


- القرآن الكريم

[١] البحر المحيط في التفسير ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

[٢] المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة ، مكان النشر: لبنان .

[٣] مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي ، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) ، المحقق: إياد خالد الطباع ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

[٤] احياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)

[٥] معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[٦] تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

[٧] لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار النشر: دار المعارف ، البلد: القاهرة.

[٨] تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

[٩] مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

[١٠] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م .

[١١] تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ)، المحقق: أسعد محمّد الطيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: ٢، ١٤١٩ هـ.

[١٢] الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ .

[١٣] التوقيف على مهمات التعاريف ، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م .

[١٤] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير–ط دار إحياء التراث العربي (٦٠٦)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر

الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث العربى . بيروت .

[١٥] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

**Sources and References**

- **The Holy Qur'an.**

1. ***Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir***, Author: Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Hayyan Athir al-Din al-Andalusi (d. 745 AH). Edited by: Sidqi Muhammad Jamil. Publisher: Dar al-Fikr – Beirut, 1420 AH.
2. ***Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an***, Author: Abu al-Qasim al-Husayn bin Muhammad, known as al-Raghib al-Isfahani (d. 502 AH). Edited by: Muhammad Sayyid Kilani. Publisher: Dar al-Ma'rifah, Lebanon.
3. ***Maqasid al-Ri'ayah li-Huquq Allah or Mukhtasar Ri'ayat al-Muhasibi***, Author: Abu Muhammad Izz al-Din Abd al-Aziz bin Abd al-Salam al-Sulami al-Dimashqi, known as Sultan al-Ulama (d. 660 AH). Edited by: Iyad Khalid al-Tabba'. Publisher: Dar al-Fikr – Damascus, 1st ed., 1416 AH – 1995 AD.
4. ***Ihya' Ulum al-Din***, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (d. 505 AH).
5. ***Mu'jam Maqayis al-Lughah***, Author: Ahmad bin Faris bin Zakariya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d. 395 AH). Edited by: Abd al-Salam Muhammad Harun. Publisher: Dar al-Fikr, 1399 AH – 1979 AD.
6. ***Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus***, Author: Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Razzaq al-Husayni, Abu al-Fayd, known

as Murtada al-Zabidi (d. 1205 AH). Edited by: A group of researchers. Publisher: Dar al-Hidayah.

7. ***Lisan al-Arab***, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari (d. 711 AH). Edited by: Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hasballah, and Hashim Muhammad al-Shadhili. Publisher: Dar al-Ma'arif, Cairo.
8. ***Tahdhib al-Lughah***, Muhammad bin Ahmad bin al-Azhari al-Harawi, Abu Mansur (d. 370 AH). Edited by: Muhammad Awad Mur'ib. Publisher: Dar Ihya al-Turath al-Arabi – Beirut, 1st ed., 2001 AD.
9. ***Mukhtar al-Sihah***, Zayn al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Abd al-Qadir al-Hanafi al-Razi (d. 666 AH). Edited by: Yusuf al-Shaykh Muhammad. Publisher: Al-Maktabah al-Asriyyah - Al-Dar al-Namudhajiyyah, Beirut – Sidon, 5th ed., 1420 AH / 1999 AD.
10. ***Al-Wasit fi Tafsir al-Qur'an al-Majid***, Author: Abu al-Hasan Ali bin Ahmad bin Muhammad al-Wahidi al-Naysaburi al-Shafi'i (d. 468 AH). Edited and annotated by: Sheikh Adil Ahmad Abd al-Mawjud, Sheikh Ali Muhammad Moawad, et al. Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 1st ed., 1415 AH – 1994 AD.
11. ***Tafsir al-Qur'an al-Azim***, Author: Abu Muhammad Abd al-Rahman bin Muhammad bin Idris, known as Ibn Abi Hatim al-Razi (d. 327 AH). Edited by: As'ad Muhammad al-Tayyib. Publisher: Nizar Mustafa al-Baz Library, 2nd ed., 1419 AH.
12. ***Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an***, Author: Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Qurtubi (d. 671 AH). Edited by: Hisham Samir al-Bukhari. Publisher: Dar Alam al-Kutub, Riyadh, KSA, 1423 AH / 2003 AD.

13. ***Al-Tawqif ala Muhimmat al-Ta'arif***, Author: Zayn al-Din Muhammad Abd al-Ra'uf al-Munawi al-Qahiri (d. 1031 AH). Publisher: Alam al-Kutub, Cairo, 1st ed., 1410 AH – 1990 AD.
14. ***Tafsir al-Razi (Mafatih al-Ghayb or al-Tafsir al-Kabir)***, Author: Abu Abdullah Muhammad bin Umar al-Fakhr al-Din al-Razi (d. 606 AH). Publisher: Dar Ihya al-Turath al-Arabi – Beirut.
15. ***Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an***, Author: Muhammad bin Jarir bin Yazid, Abu Ja'far al-Tabari (d. 310 AH). Edited by: Ahmad Muhammad Shakir. Publisher: Mu'assasat al-Risalah, 1st ed., 1420 AH – 2000 AD.